آراء وافكار

« تعليق واستيضاح »

أشار عضو مجمعنا الفاضل الشيخ عبدالقادر المغربي في العدد الثاني عشر المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي الى كتاب (الموجز في الاجتماع) وختم عبارته بقوله : « لكننا لانكتم المؤلف امراً لاحظناه نحن عليه ولاحظه فاضل من فضلاء دمشق أحب التنبيه اليه ذلك ان المباحث الدينية التي لها علاقة بموضوع الاجتماع كان المؤلف يفرغها في قوالب (كذا) لا تلتحم مع اخلاق اهل البلاد الذين يكتب لهم كتابه ولو راعى ذلك فيه لكان الإعجاب فيه اكبر والإقبال عليه اوفر » .

لو ان الشيخ أورد ملاحظته مورد الرأي الخاص او في غير مجلة المجمع العلمي — ولها فيها من المعنى ما لا يكون في غيرها — لما كان لنا معه مقال . فلكل ذي رأي اجتهاده ، ولكل مجتهد نصيب . واصحاب الرأي يختلفون في امور تكاد تكون مجمعاً عليها فما بالك في موضوعات اجتماعية . وعلم الاجتماع « لا يزال في جملته مذهباً اجتهادياً » وهو ما قلناه في مقدمة الكتاب .

ولكن الشيخ الفاضل ارسل رأيه جازماً ، وانزله منزل الحكم القاطع . وكأنه أراد ان يجعل له شيئاً من معنى الاجماع ، فعززه برأي فاضل آخر قال انه رأى رأيه فأصبح الامر بيننا وبينه ، او بين ماأردناه وبين ماوقعنا فيه ، مختلفاً جداً . فلقد أردنا من وضع هذا الكتاب فائدة من يطلع عليه من اخواننا ابناء البلاد ، وهو مانحن من اشد الناس حرصاً عليه ، فاذا بنا نأتيهم على زعم الشيخ بما لا يلتحم مع اخلاقهم ....

والذي انكرناه فساقنا الى التعليق والاستيضاح ، ان هذا التنبيه — وقد جعله صاحبه حكماً — أرسله مجملاً لابيان له ، ولا تعليل فيه ، خلافاً لكل حكم حتى ما كان (عرفياً) . فهو لم يذكر لنا شيئاً من تلك القوالب التي أفرغناها بما لا يلتحم مع اخلاق اهل البلاد . وهذا ما كان يجب إن يشار اليه في مثل هذا الموضع . وعليه الجمهور من نقدة الكتب في مجلتنا هذه . ولو فعل لكنا بين ان نذعن لرأيه فنشكر له هديه ، او ان لا نرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رأيه فنترك لاصحاب الفكر النيّر من القراء حكمهم وهم خير الحاكمين . فكما يكون الكاتب عرضة للأوهام ، فقد يكون الناقد مظنةً للاتهام .

ولا نكتم المنتقد استغرابنا كما هو لم يكتمنا ملاحظته — كيف انه سكت عن المباحث — وتعرض لقوالبها . فهل المباحث ملتحمة مع اخلاق اهل البلاد ، والقوالب غير ملتحمة ؟ . على انه اذا كان من شيء يجوز ان يقال عنه مثلاً انه لا يلتحم مع الاخلاق فانما يقال ذلك عن المباحث لا عن القوالب . فالقوالب على مانفهم ان هي الا الاسلوب اوالطريقة اوالكيفية اوالصيغة ، اوماشئت من مثل ذلك ، مما يفرغ المرء كلامه فيه . وهذا عرض لا يتناول الجوهر ولا يؤثر في الاخلاق . ولكنه قد يخالف المألوف او العادة أو ما اشبهها . وشتان ما هما والاخلاق .

ثم اذا صح اننا أفرغنا مباحثنا في قوالب لا تتفق مع المألوف والعادة ، وهما ما سماهما حضرته اخلاقاً ، فهل من نكير علينا متى كان كلامنا لا يتعارض وعقيدة من العقائد ، ولا يمس ديناً من الاديان في جوهره ؟ قلنا لو ان الشيخ بيّن لنا ما اخذه علينا لجعل لنا سبيلاً نعرف منه اذا كنا جئنا بما فيه ضرر على هذه الهيئة الاجتماعية التي انما يراد من علم الاجتماع مصلحتها وارتقاؤها . فمتى كان ذلك فقد اصاب واخطأنا . والاّ فالنقيد في القوالب ، في يوم مثل يومنا ، خرجت فيه الامم عما كان يعد من جواهر الامور لا من أعراضها ليس مما يجوز انتقاده ، ولاسيما متى كان المنتقد رجلاً كالشيخ المغربي لا يزال ينادي على نفسه انه من طلاب التجدد والاصلاح . وهل يتم مع مثل هذا النقيد تجدد او اصلاح ؟ .

ولا بد لنا في هذا المقام من القول اننا اذا تعرضنا في كتابنا للدين ، فقد كان ذلك من الوجهة الاجتماعية ، لا من حيث هو عقائد . ومع أن كتابنا لم يكن كتاباً دينياً فنحن على مثل اليقين بل على اليقين كل اليقين ان ليس فيما كتبناه مايمس ديناً من الاديان . ولكن الامر على العكس . فلقد نوهنا بما كان للدين من الفضل ، وأشدنا بما كان له من الاثر المفيد في الحياة الاجتماعية . كما اننا اتينا بذكر بعض الأضرار التي تنبعث عن فهم الدين على غير حقيقته ، واخراجه عن غرضه وطبيعته . واستشهدنا في جملة ما استشهدنا به على ذلك ، بكلام اثنين من كبار الائمة وفلاسفة الامة ، هما الغزالي وابن عقيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اما اذا كان الشيخ حفظه الله توهم ان للدين في القلوب تأثيراً لا يزال يجري على غير وجهه المشروع — يوم كانت العامة اذا قيل لها « ياغيرة الدين » تركت عقولها ومضت تعدو وراء عواطفها — نخشي علينا ان يُفهم كلامنا على غير معناه، فتأتينا من هذا الباب صيحة نحن في غنىً عنها — اذا كان ذلك فنحن نطمئن قلبه ونقول له : ان التطوّرات الفكرية والانقلابات الاجتماعية قد كشفت عن العيون غشاءتها . فطويت صفحة ذلك الزمن . واصبح الناس الأفاهم لا يسيرون الا عن تثبت وتحقق . اما ذلك القليل ممن لا يزال يؤخذ بالنعرة الجوفاء ، فليسوا ممن يساق اليهم الكلام والسلام .

عارف النكدي